دلالة المراوحة بين الأسلوبين التربوي والخطابي في سورة النمل

د/ غادة مصطفى عبد الوهاب

دراسة تفسيرية تحليلية

المقدمة :

لقد اختصصت عنوان البحث بسمة الأسلوب التربوي لما يحمله هذا المدلول من دلالات ووظائف الزامية تتمثل في الإعداد ، والتنشئة وفقا للمعايير الثقافية والقيم الأخلاقية التي يتشكل منها سلوك المرء ؛ تلك المعايير والضوابط مسندة إلى صاحب السلطة ، معتمدة على الجزاءات التأديبية ؛ وهذا بما يلزم الفرد بدوره ، وفاعليته في جماعته مع استشعاره بأنه مترابط ترابطا بنائيا في تشكيل نسيج مجتمعه ملما بالجوانب الوظائفية التي تنهض بكليهما فهذه البنية شكلت معطياتها بخطاب الله للرسل الذين اختصوا بمهامهم التربوية وفقا لاحتياجات ومتطلبات واقعهم ؛ فشكلت وعاءًا حضاريا أفصحت عنه سورة النمل في أسلوب المخاطبة التي شكلت مجتمعا سياسيا في إطار مدلولين : الطابع الاجتماعي للنظام السياسي ، ودراسة بناء القوة أعلنت عنهما السورة الكريمة وأفصحت عن التحدّي بعلم ما فيه من أخبار الأنبياء . والاعتبار بملك أعظم مُلك أوتيه نبيء . وهو مُلك داود وملك سليمان عليهما السلام ، وما بلغه من العلم بأحوال الطير ، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة . والإشارة إلى مُلك عظيم من العرب وهو ملك سبأ .

وقد أورثنا الذكر الحكيم أجل أسس ومعايير التربية في جوانبها المختلفة. لقمان وضع أسس التربية لولده، حيث بدأ بالأساس العقدي ثم الأسري ثم الاجتماعي

ثم أساس المراقبة لله تعالي ، ثم الأساس التعبدي .

إن القران منهج متميز في تربية الذات الإنسانية وبنائها وإعدادها .

تم تقسيم البحث لعدة محاور :

المحور الأول : أخبار الأنبياء ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[1].

نوعية الخطاب في مستهل الذكر الكريم : ينبئ عن حوار بين نبي الله موسى وزوجه.

[1] - سورة النمل ، الآية ٧

فملامح الحوار : يكشف عن شخصية المتكلم ، وملامح المكان وذلك ببث جانبي الأمن والاستئناس كرّر فعل الإتيان ، فقال: ﴿ **سَآتِيكُمْ مِنها بِخَبَر أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ** ﴾، فتأكد الإتيان من قبل المتكلم للمخاطب يكشف عن قوة اليقين والثقة بالنفس، وكما هو متعارف عليه لدي أهل اللغة أن التوكيد يدل على القوة وذلك بأنه قطع على نفسه أن يأتيهم بخبر أو بشهاب قبس .

وظاهر مخاطبة أهله بصيغة الجمع لقوله : ﴿ **سَـَاتِيكُمْ** ﴾ و﴿ **تَصْطَلُونَ** ﴾ من باب خطاب الجمع على سبيل الإكرام والتعظيم "[٢]

الفائدة من سين التسويف ، و" أو"

سين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ ، أو كانت المسافة بعيدة.

" أو" بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما : إمّا هداية الطريق ، وإما اقتباس النار ، ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده[٣]

﴿ **فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يامُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّى لاَ يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[٤].

والعدول عن ذِكره بضمير الخِطاب كما هو مقتضى الظاهر ، أو باسمه العلم إن أريد العدول عن مقتضى الظاهر ؛ لأنه في معنى صلة الموصول إيناساً له وتلطفاً.

"من" : الموصولة في الموضعين ، وهو تبريك الاصطفاء الإلهي بالكرامة .

وتقديم هذا بين يدي ما سيلقى إليه من الأمر لإحداث رِبَاطَة جأْش لموسى ليعلم أنه خلعت عليه النبوءة إذ ألقي إليه الوحي ، ويعلم أنه سيتعرض لأذى وتألب عليه ، وذلك كناية عن كونه سيصير رسولاً ، وأن الله يؤيده وينصره على كل قوي ، وليعلمَ أن ما شاهد من النار وما تلقّاه من الوحي وما سيشاهده من قلب العصا حية ليس بعجيب في جانب حكمة الله تعالى ، فتلك ثلاث كنايات .

وهذه المقدمات بمثابة روافد يصاغ منها السمات الحسنة في السلوك المربى بما تكسبه قدرا من القوة عند إصداره الأوامر وبما يقابله من أزمات وتحديات يقابلها

---

٢ ـ البحر المحيط (ج٦ / ١٣٧)

٣ ـ الكشاف (ج٣ / ٣٤٩)

٤ ـ سورة النمل ، الآيات (٨ ـ ١١)

بتنظيم إداري للموقف مترتب على بعد نظر وفكر سليم ومنصب على الحادثة وتكليف الله لرسله فيه تهيئتهم لتحمل أعباء الرسالة ، فالرسالة فيض من الله على من اصطفاه من عباده وأن رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كرسالة موسى جاءته بغتة فنودي محمد في غار جبل حراء كما نودي موسى في جانب جبل الطور ، وأنه اعتراه من الخوف مثل ما اعترى موسى ، وأن الله ثبته كما ثبت موسى ، وأن الله يكفيه أعداءه كما كفى موسى أعداءه . فقد ذكر الخوف في مقام العصا . فناداه الله عز وجل :

﴿ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ﴾

قال الزمخشري: وإلا بمعنى لكن، لأنه لما أطلق نفي الخوف عن المرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك[٥] ، والمعنى: ولكن من ظلم منهم، أي فرطت منهم صغيرة مما لا يجوز على الأنبياء، كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف، ومن موسى، بوكزة القبطي. ويوشك أن يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى،وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها، وسماه ظلماً[٦]؛ كما قال موسى:

﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴾ [٧]

فقال : ﴿ وَجَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٨] قال المراغي : أي وكذبوا بها بألسنتهم وأنكروا دلالتها على صدقه وأنه رسول من ربه، لكنهم علموا في قرارة نفوسهم أنها حق من عنده، فخالفت ألسنتهم قلوبهم، ظلما للآيات، إذ حطوها عن مرتبتها العالية وسمّوها سحرا، ترفعا عن الإيمان بها كما قال في آية أخرى: « **فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْمًا عالِينَ** »[٩].

والخلاصة - إنهم تكبروا عن أن يؤمنوا بها وهم يعلمون أنها من عند الله.

﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾أي فانظر أيها الرسول ما آل إليه أمر فرعون وقومه من الإغراق على الوجه الذي فيه العبرة للظالمين، ومن إخراجهم من الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم. وفي هذا تمثيل لكفار قريش، إذ كانوا مفسدين

---

٥ ـ البحر المحيط (ج٦ / ١٤٤)
٦ ـ الكشاف (ج٣ / ٣٥١)
٧ ـ سورة القصص ، الآية ١٦
٨ ـ سورة النمل ، الآية ١٤
٩ ـ سورة المؤمنون ، الآية ٤٦

مستعلين، وتحذيرهم أن يحل بهم مثلما حل بمن كان قبلهم. ولعلهم يقلعون عن عنادهم واستكبارهم حتى لا تنزل بهم القوارع ويأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون .

التحليل الخطابي لتلك الآيات من خلال نظرية التداول :

ـ بعثة الرسل وأسلوب الالتماس:

يستعمل المرسل أسلوب التأدب مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد.
*فالبعد الشرعي: يملي ضرورة اطراح فاحش القول .
* البعد الاجتماعي : يستدعي ضرورة احترام أذواق الناس وأسماعهم.
* البعد الذاتي : فهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها[١٠].

ويؤكد"سيرل" أن التأدب من أبرز الدوافع لاستعمال الإستراتيجية غير المباشرة في الطلب. وقد استعمل هذا النوع في القرآن الكريم في مجال بعثة الرسل إلى أقوامهم، وقد أمروا باستعمال أسلوب التأدب والالتماس، حتى ترق قلوب المدعوين ويستجيبوا لدعوتهم، فالحال عند إرسال موسى إلى فرعون كما جاء في مواضع أخرى من الذكر الحكيم : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (١٦) اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى (٢٥) إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى (٢٦)**﴾ [١١]
وبالرجوع إلي خطاب الله عز وجل: فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَن حَوْلَهاوَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ استعمل المخاطب الفعل الكلامي المباشر المتمثل في الأفعال الإنشائية المتعلقة بالصيغة المباشرة (الخطاب الدعائي المتحقق في آيات سورة النمل ، وبالاستفهام المتحقق في آيات سورة النازعات للتمهيد وإعداد النفس لتلقي القصة، فبدأت أحداثها بنداء موسى ومناجاته، وهو بالواد المقدس، ثم يبدأ التكليف الإلهي له، فيرسله إلى فرعون الطاغي، يعتبر النداء في القرآن الكريم بمثابة مدخل للأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعده الهدف المقصود مباشرة،﴿ **يا مُوسى**

---

[١٠] ـ دراسة الأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم– مقاربة تداوليّة – أ. بوقرومة حكيمة جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، مجلة الخطاب ، ص٢٠
[١١] ـ سورة النازعات

إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) ﴾ [١٢]

لقد تعددت أفعال الكلام المباشرة وتعددت المواقف الخطابية وتداخلت الأفعال فيما بينها، وفرضت ذاتها على المخاطب ، وقد سيطر فيه ضمير المخاطب الذي يملك السلطة في الأمر والنهي، نظرا لامتلاكه سلطة الاستعلاء على المأمور، وامتلاكه الآليات والأساليب الكافية للتوجيه الخطابي والتأثير في المتلّقي، فيعّلمه كيف يخاطب الطاغية بأحب أسلوب وأشده جاذبية للقلوب لعّله ينتهي عن طغيانه ، لقد بعث الله نبيه موسى إلى فرعون وعّلمه الأسلوب المتأدب الذي يّتخذ الأولوية في المجال الدعوي الذي يجعل من غير المناسب أن يتوجه إليه بشكل مباشر ليأمره وينهاه مباشرة، ولهذا التزم السياق القرآني هذا الأسلوب لإنجاز الأفعال الواجبة، ومن ثم يأتي.

﴿ فأراه الآية الكبرى فكذَّب وعصى، ثُم أ دبر يسعى ﴾

مشهد المواجهة والتبليغ مختصرورغم استعمال هذا الأسلوب المتأدب المحبب، إلا أنه لم يفلح في إلانة القلب آية العصا واليد البيضاء كما جاء في ؛ فأراه موسى الآية الكبرى التي تعني

﴿ فكّذب وعصى ﴾ ، لينتهي مشهد التبليغ بالتكذيب والمعصية وعدم الاستجابة للحق،﴿ وَجَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ فيجمع فرعون سحرته للمباراة بين السحر والحق، لتنطلق منه الكلمة ويقدم هنا نكال » ، فيأخذه الله نكال الآخرة والأولى ،﴿ أَنا ربكُم الأَعَلى ﴾ : هذا استكبار الطاغية المغرورة ، فجعلهما الله نموذجا للعبرة والاتعاظ ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

٢ – خروج الأفعال اللغوية عن حقيقتها فالجانب التربوي المستفاد من مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، والموعظة الخطابية تسرد سرداً لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح

---

[١٢] ـ سورة النمل

أهدافها، ويرتاح المرء لسماعها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، والجانب الثاني هو تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله .

﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِين ﴾(١٣)

الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل- مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها. وكما كان في قصة موسى وإرساله إلى فرعون آياتٌ عبرةٌ ومَثَل للذين جحدوا برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) كذلك في قصة سليمان وملكة سبأ وما رأته من آياته وإيمانها به مثَلٌ لعلم النبي (صلى الله عليه وسلم) وإظهارٌ لفضيلة ملكةِ سبأ إذ لم يصدها مُلكُها عن الاعتراف بآيات سليمان فآمنت به ، وفي ذلك مَثَل للذين اهتدَوْا من المؤمنين .

****

المحور الثاني : علم داود وسليمان عليهما السلام .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٤)

فظاهر قوله : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً ﴾** في سياق الامتنان تعظيم العلم الذي أوتياه، فان علمهما كان مما يستعظم ويستغرب ، ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذي خصهما الله تعالى به(١٥). وتأتي الآية الكريمة **﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾**(١٦) . يذيعها سليمان عليه السلام في الناس تحدثا بنعمة الله وإظهارًا لفضله

---

١٣ ـ سورة النازعات

١٤ ـ سورة النمل ، الآية ١٥ .

١٥ ـ الكشاف (ج٣ / ٣٥٢) .

١٦ ـ سورة النمل ، الآية ١٦.

، لا مباهاة على الناس، و يعقب عليهما ﴿**إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾ فضل الله الكاشف عن مصدره الدال على صاحبه. فما يملك تعليم منطق الطير لبشر إلاّ الله، و كذلك لا يؤتي أحدا من كلّ شيء بهذا التعميم إلاّ الله[١٧] .

وادي النمل ﴿ **حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ: يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ أي حتى إذا أشرفوا على وادي النمل صاحت نملة بما فهم منه سليمان أنها تأمرهم بأن يدخلوا مساكنهم خوفا من تحطيم سليمن وجنوده لهم وهم لا يشعرون بذلك.

﴿ **فَتَبَسَّمَ ضاحِكًا مِنْ قَوْلِها وَقالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحًا تَرْضاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ وفي هذه الآية تنبيه إلى هذا لإيقاظ العقول إلى ما أعطيته من الدقة وحسن النظم والسياسة، فإن نداءها لمن تحت أمرها وجمعها لهم ليشير إلى كيفية سياستها، وحكمتها وتدبيرها لأمورها، وأنها تفعل ما يفعل الملوك، وتدبّر وتسوس كما يسوس الحكام.

ويلمح الشيخ المراغي إلى أن في هذا مثلاً لم يذكره الكتاب الكريم إلا ليكون أمثالا تضرب للعقلاء، فيفهموا حال هذه الكائنات، وكيف أن النمل أجمعت أمرها على الفرار خوفا من الهلاك كما تجتمع على طلب المنافع، وإن أمة لا تصل في تدبيرها إلى مثل ما يفعل هذا الحيوان الأعجم تكون أمة حمقاء تائهة في أودية الضلال، وهي أدنى حالا من الحشرات والديدان:« **وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** »[١٨]. فضرب هذا المثل لنبيه سليمان ـ عليه السلام ـ بالوحي من دلالة نملة[١٩] ، وذلك سر بينه وبين ربّه جعله تنبيهاً له وداعية لشكر ربّه فقال : ﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ** ﴾ . قال المراغي ـ كأنه قال: العلم غاية مطلبي وقد حصلت عليه، ولم يبق بعد ذلك إلا أن أطلب التوفيق للشكر عليه بالعمل الصالح الذي ترضاه، وأن أدخل في عداد الصالحين من آبائي الأنبياء وغيرهم.

التحليل الخطابي لتلك الآيات من خلال التركيب اللغوي

---

١٧ ـ ظلال القرآن (ج١٩ / ٢٦٣٤)
١٨ ـ سورة النور ، الآية ٣٥
١٩ ـ التحرير والتنوير (ج١٩ / ٢٤٣)

دلالات الأسلوب الندائي حافلة بضروب المعاني التي يفهمهاالمتذوق من خلال قراءة النص يعد النداء من الأفعال الكلامية التوجيهية، لأنه يحفز المتلّقي لرد فعل المتكّلم. وأبرز أدواته (**الياء**) [٢٠]، ويحتلّ كثافة معتبرة في النص القرآني نظرا لارتباطه بالأمر والنهي فالنملة استعملت " يا" التي هي لنداء البعيد مع أن الذي يخاطبه قريب منه وذلك للتنبيه على غفلتهم ولهوهم ، وإن كانوا حاضرين ـ النمل ـ بوجودهم المادي إلا أنهم غائبون بوجودهم المعنوي المؤثر . فالحدث تتطلب منها ما هو لآنق به أن تُنَادى بأدَواتِ النّداءِ الّتي للبعيد؛ وكأن تُريدَ التعبيرَ عن حَالةِ تَلَهُّفِها وشدّةِ طلَبِها، فهي بمثابة المستغيث الذي يمدُّ صوته في النداء، فيستعمل أدوات النداء التي للبعيد لما فيها من مدِّ الصّوْت وَطُول النفس معه. فتستعمل أدوات النداء التي للبعيد لما فيها من مدِّ الصّوْت وَطُول النفس معه؛ وكأن تريد أنّ المنادَى غافل شارد الذهن أو غير مستعدٍّ للاستجابة فهو بمثابة البعيد عنها .

فالنداء أول فعل كلامي يقوم به المخاطب ليتمكن بعد ذلك من تحديد مقاصده. يعتبر النداء في القرآن الكريم بمثابة مدخل للأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعدها الهدف المقصود مباشرة، فاشتمل ما بعده على فعل الأمر الدخول خشية التحطيم ففي تقييد الحطم بعدم الشعور بمكانهم المشعر بانه لو شعروا بذلك لم يحطموا ما يشعر بغاية أدب النملة مع سليمان عليه السلام وجنوده فذاك الخطاب المتمثل في الإعجاز اللغوي الجمالي يكشف لنا عن إعجاز تربوي نفسي . وروي أن سليمان عليه السلام ـــــ لما سمع قول النملة : ﴿ **يا أَيُّهَا النَّمْلُ** ﴾ الخ قال ائتوني بها فأتوا بها فقال : لم حذرت النمل ظلمي أما علمت أني نبي عدل فلم قلت ﴿ **لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ**﴾ وجنوده فقالت : أما سمعت قولي ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ ومع ذلك أني لم ارد حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشيت أن يروا ما أنعم الله

---

٢٠ ـ كثر استعمالها في الخطاب القرآني لحكمة بيانية وهي أن "الياء" أبلغ من باقي الأدوات لوجود الخصائص الآتية :

١ـ الياء هي الأداة الوحيدة التي يمكن أن تصلح لجميع مستويات الخطاب البعيد والقريب .

٢ـ النداء بالياء يوجد الشعور بالفارق بين المخاطِب والمخاطَب فيُشعر بالمكانة والبعد بين الله سبحانه وتعالى والبشر المخاطبين .

٣ـ النداء بـ "يا" فيها من الطول في الصوت الذي يهيئ السامع لتنفيذ ما جاء بعدها من أمر أو نهي ، وهذا لا يوجد في " أى " أو "الهمزة ". ينظر الإعجاز في نص الخطاب القرآني ، ص١٢ ، تأليف الدكتور / عصام العبد زهد .

تعالى به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا في كفران النعم فلا أقل من أن يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح [٢١]

وتسمية سليمان ـ عليه السلام ـ في حكاية كلام النملة يجوز أن تكون حكاية بالمعنى وإنما دلت دلالة النملة على الحذر من حطم ذلك المحاذي لواديها ، فلما حكيت دلالتها حكيتْ بالمعنى لا باللفظ ، ويجوز أن يكون قد خلق الله علماً في النملة علمت به أن المارّ بها يُدعى سليمان على سبيل المعجزة وخرق العادة . **ففي قولها ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (فوسمته وجنده بالصلاح والرأفة وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة ، وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل لكل مخلوق [٢٢].**

****

المحور الثالث : العرض العسكري لسليمان ـ عليه السلام ـ وجنوده .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُواْ للَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾

*الخطاب القرآني لسيدنا سليمان يكشف لنا عن شخصية قيادية يقظة تجاه الاتباع والجنود وتكشف لنا هذه الشخصية عن النواحي التربوية التي يسلكها تجاه المقصرين عن مسئولتيهم ، وذلك بما يعد نبراسا في الحياة السياسية والإدارية على حد سواء ونلمح ذلك في وقفاته مع الهدهد ، ومواصفاته الدقيقة ـــ الهدهد ـــ التي تعبر عن

---

[٢١] - روح المعاني (ج٧ / ١٠١)
[٢٢] - بصرف التحرير والتنوير (ج١٩ / ٢٤٣)

السمات التي يجب أن تتوافر في شخصية المفوض إليه بالأعمال الجسيمة من إيجابية وذكاء ومهارة في التصرف ودقة وعلم وقوة .

والآن نقف أمام الدروس التربوية المستقاه من نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ تجاه الهدهد : تفقد الأتباع : في قوله : ﴿ **وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ** ﴾ دلالة على تفقد الإمام أحوال رعيته والمحافظة عليهم. صيغة التفعُّل [في تفقَّد] تدل على التكلف والتكلف الطلب)) ، فقد كان ـ عليه السلام ـ يتكلف البحث والسؤال . ولا يمكن أن يكون القائد ناجحا إلا بمثل هذا التفقد . قال ابن عطيةوقوله: ﴿ **مَا لِىَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ** ﴾، مقصد الكلام الهدهد، غاب ولكنه أخذ اللازم عن مغيبه، وهو أن لايراه، فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم، وهذا ضرب من الإيجاز والاستفهام الذي في قوله: {مَا لِى }، ناب مناب ألف الاستفهام، فمعناه عنده: أغاب عني الآن فلم أره حالة التفقد؟ أم كان ممن غاب قبل ولم أشعر بغيبته؟

دلالة الخطاب في : ﴿ **وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ** ﴾ ﴿ **مَا لِىَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ** ﴾ نبأت عن دلالة تربوية لكل من الأمير وجنده فالقائد لا بد أن يكون يقظًا ومنتبهًا لمن معه، من التفقد والتعرف عليهم وعلى أحوالهم والإحساس بهم والشعور بمن يغيب أو يحضر منهم؛ خاصةً أولئك الذين يلونه مباشرةً. و لا يمكن وصف الأثر الذي يحصل في قلب الفرد حين يعلم أو يشعر أن أميره افتقده وسأل عنه حتى وإن كان في السؤال شدة ومعاتبة .

الأسلوب الخطابي المتبلور في الرؤية الاستفهامية للقائد عما يطرأ من مواقف وملابسات بمن يحيطون به يضفي أسلوبا تربويا يتخذ كنموذج تطبيقي في حياتنا العملية وهو كيفية التعامل مع المقصرين فيما هم مكلفين به من أعمال من خلال ثلاثة مبادئ نستشفها من سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ الموضوعية ـــ العدل ـــ الحكمة. ولما كان قول سليمان هذا صادراً بعد تقصّيه أحوال الطير ورجح ذلك عنده أنه غاب فقال : ﴿ **لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ (لأن تغيبه من دون إذن عصيان يقتضي عقابه ، وذلك موكول لاجتهاد سليمان في المقدار الذي يراه استصلاحاً له إن كان يرجى صلاحه ، أو إعداماً له لئلا يلقّن بالفساد غيرَه فيدخل الفساد في الجند وليكون عقابه نكالاً لغيره . فصمم سليمان على أنه يفعل به عقوبة جزاء على عدم حضوره في الجنود"[٢٣] .

---

٢٣ ـ التحرير والتنوير (ج١٩ / ٢٤٦)

إنه عليه السلام لم يترك الأمر فوضى، ليفعل كل فرد ما يحلو له دون حساب أو مساءلة وعقاب .

أول هذه المبادئ تتحقق في الفصل التام بين الشخص والخطأ، والتزام الموضوعية التامة في ذلك، والتعامل معه على أنه بريء إلى أن تثبت إدانته، وإعطاؤه فرصة تامة لإبداء حججه والدفاع عن نفسه وتوضيح موقفه.. وهذا ما يظهر من موقف الهدهد حين قال لسليمان عليه السلام بعد أن اقترب منه: ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**﴾ ، إن الهدهد ((يعرف حزم الملك وشدته ، ولذلك بدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء الملك له ... وأي ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له : ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ ؟!))[٢٤] ولا يمكن أن يجرؤ على مثل هذا القول،ولا يقف مثل هذا الموقف شديد القرب من القائد﴿ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ** ﴾ ، إلا إذا كان لا يزال يعامَل معاملة البريء،وينظر إليه من منطلق الفصل بين الشخص والمشكلة التي يمكن أن تنشأ عنه.

ولعل هذه النقطة من أشد نقاط الإدارة والتربية عمومًاحساسيةً وتعرضًا للانتهاك؛ حيث إننا نرى أن الغالب هو أن يخلط الناس بين الأمرين،فإذا أخطأ أحد أخذنا منه موقفًا، وأعلنا أنه كذا.. وكذا.. "بأنه مقصر ومخطئ"،والمفروض أن نقول بدلاً من ذلك إن الفعل الذي أتيت به كذا... وكذا.... (هذا الفعل خطأ ولا ينبغي...)، ولعل ما يؤكد أهمية الالتزام بذلك؛ التوجيه الرباني الذي ورد في القرآن لإرشاد الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ** (٢١٦)﴾ (الشعراء).. ولم يقل إني بريء منكم، وهذا مبدأ من المبادئ العظيمة في الإدارة والتربية والتعامل مع الناس عمومًا، وهو مبدأ الفصل بين الشخص والمشكلة أو الخطأ.

المبدأ الثاني العدل: فقد طلب أن يأتيه الهدهد بسبب غيابه؛ حتى لا يوقع به العقاب. وبتتبع القص القرآني نجد تعقيبا دينيا يناسب العبرة فيها وما ذكر من توجيهات في ثنايا القص القرآني . عندما يسرد الهدهد للسليمان أمر الملكة بلقيس ، فيقول : ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُواْ للَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ**

---

[٢٤] ـ ظلال القرآن ١٩ /٢٦٣٨

وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ) وفي ذلك عبرة إدارية للمؤمنين ؛ ليهتدوا بأسلوبية الهدهد في عرضه لأمر جد وذلك عندما شاهد الهدهد إبان طيرانه قوما يعبدون الشمس ، شاهد هذا المنكر العظيم ، فماذا فعل ياترى ؟ إنه لم يقف موقفا سلبيا ، وإنما ذهب وتحرك وتقصى ، وألقى بالنبأ إلى سليمان عليه السلام ، باذلا بذلك كل وسعه في تغيير المنكر ، وضاربا بذلك أروع مثل في الإيجابية العملية .

لقد فعل الهدهد ذلك كله دون تكليف مسبق ، أو تنفيذ لأمر صادر ، وجلب للقيادة المؤمنة خبرا أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام .فقد قدم تصويرا مجملا لحياة هؤلاء القوم متمثلًا في بيان نظام الحكم ـ القدرة الاقتصادية.ـ النظام الاجتماعي ووضع المرأة فيه. ـ النظام الحضاري والصناعي ومدى تقدمه.

ـ العقيدة الدينية ومدى رسوخها في نفوسهم . ومن مهارة الهدهد في الأداء ؛ أنه لمح بالحل ، ولم يأمر به ، اقترح ولم يفرض ، عرض ولم يصرح بالتكليف . ثم ختم الهدهد تقريره بأن هناك إلها "هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ" ؛ ليطأ الملك من عظمته الإنسانية أمام عظمة الله . وهذاك الهدهد: " يلمس قلب سليمان ـــ في سياق التعقيب على صنع الملكة وقومها ـــــ بهذه الإشارة الخفية ! ونجد أنفسنا أمام هدهد عجيب . صاحب إدراك وذكاء وإيمان ، وبراعة في عرض النبأ ، ويقظة إلى طبيعة موقفه ، وتلميح وإيماء أريب .. فهو يدرك أن هذه ملكة ، وأن هؤلاء رعية ، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله ، ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ، وأنه هو رب العرش العظيم ... وما هكذا ندرك الهداهد ؛ إنما هو هدهد خاص أوتي هذا الإدراك الخاص ، على سبيل الخارقة التي تخالف المألوف . ولا يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه ، ولا يستخفه النبأ العظيم الذي جاءه به ؛ إنما يأخذ في تجربته للتأكد من صحته شأن النبي العادل والملك الحازم " [٢٥].

المبدأ الثالث الحكمة ـــ الإنصات ـــ: منح الفرصة للهدهد للدفاع عن نفسه بعد ما سمع من الهدهد عنه الملابسات التي أدت إلى غيابه فإن ما قاله الهدهد لا يزال بالنسبة إلى سليمان مجرد افتراض قد يحتمل الصواب أو الخطأ، ومن ثم لا يجب أن

---

٢٥ ـ ظلال القرآن ١٩ /٢٦٣٩

يبني عليه حكمًا أو قرارًا إلا بعدتحويله إلى حقيقة، وهذا يحتاج إلى تبين وتأكد ودراسة واختبار لصحة الافتراض من عدمه.

﴿ **قَالَ سَنَنْظُرُ** ﴾ أي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والتفكر والسين للتأكيد أي سنتعرف بالتجربة البتة ﴿ **أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ ويفسر الألوسي هذا الاختبار بقبول الوالي عذر رعيته ودرء العقوبة عنهم وامتحان صدقهم فيما اعتذروا به ويعنون لهذا الموقف بقائد يتصف بالحكمة في تصرفاته بالتثبت والتبين .

****

المحور الرابع : كتاب كريم

وقوله تعالى : ﴿**اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ** ﴾ وتخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة ولئلا يبقي له عذر أصلا ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ** ﴾ (أي تنح وأمره عليه السلام إياه بالتنحي من باب تعليم الآداب مع الملوك كما روي عن وهب والنظر بمعنى التأمل والتفكر النظر وبمعنى الانتظار والمراد فتأمل وتعرف ماذا يرد بعضهم على بعض من القول وهذا ظاهر في أن الله تعالى أعطى الهدهد قوة يفهم بها ما يسمعه من كلامهم والتعبير بإلقاء لأن تبليغه لايمكن بدونه وجمع الضمير لأن المقصود تبليغ ما فيه لجميع القوم والكشف عن حالهم بعده [٢٦]) ، تأمل قوله : ﴿**فَانْظُرْ مَا ذَا يَرْجِعُونَ** ﴾! نعم ليست القضية أن يلقي الكتاب ويوصل الرسالة فقط ... وإنما هناك متابعة لرد الفعل ، هل استجابوا ؟ هل لانوا ؟ هل عاندوا ؟ وبناء على ردة الفعل يكون التصرف ، وفي ذلك إحاطة معرفته بمواطن الضعف عند الخصم وبهذا يكتمل الأمر ، ويوصل إلى التصرف السليم .

وبصدد ذلك نلمس دروسا تربويا لابد أن تضع في الحسبان أن يتتبع المربي أثر ما ألقاه من معلومات وفوائد في نفوس مربيه ، وهل تم إدراك المعنى المراد .

وحين لا يلتفت المربي إلى هذا يفاجأ بمواقف مؤلمة من هؤلاء ، وذلك عندما تبدر منهم تصرفات وأخلاقيات كان يظن أنه قد تم تجاوزها بمراحل .

---

[٢٦] - روح المعاني (ج٧ / ١١٠١١١)

وصف الكتاب بأنه كريم

﴿ قَالَتْ يَأَيُّهَا ٱلْمَلأُ إِنِّيَ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَأَيُّهَا ٱلْمَلأُ أَفْتُونِي فِيَ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ * قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ *﴾

الملكة بلقيس تصف كتاب سليمان بأنه "كريم" وهذا الوصف ربما خطر لها من خاتمه أو شكله ، أو من محتوياته التي أعلنت عنها للملأ * ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ * وهي كانت لا تعبد الله . ولكن صيت سليمان كان ذائعا في هذه الرقعة ، ولغة الكتاب التي يحكيها القرآن فيها استعلاء وحزم وجزم ، تحليل كلمات الخطاب على النحو الآتي هذا هو نص خطاب الملك سليمان لملكة سبأ

إنه يأمر في خطابه أن يأتوه مسلمين.. هكذا مباشرة.. إنه يتجاوز أمر عبادتهم للشمس.. ولا يناقشهم في فساد عقيدتهم.. ولا يحاول إقناعهم بشيء.. إنما يأمر فحسب.. أليس مؤيدا بقوة تسند الحق الذي يؤمن به..؟ لا عليه إذن أن يأمرهم بالتسليم..كان هذا كله واضحا من لهجة الخطاب القصيرة المتعالية المهذبة في نفس الوقت..طرحت الملكة على رؤساء قومها الرسالة.. وكانت عاقلة تشاورهم في جميع الأمورمما قد يوحي إليها بهذا الوصف الذي أعلنه ، وفحوي الكتاب في غاية البساطة والقوة ؛ فهو مبدوء **بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ومطلوب فيه أمر واحد ألا يستكبروا على مرسله ويستعصوا ، وأن يأتوا إليه مستسلمين لله الذي يخاطبهم بإسمه ألقت الملكة إلى الملأ من قومها بفحوي الكتاب ، ثم استأنفت الحديث تطلب مشورتهم ، وتعلن إليهم أنها لن تقطع في الأمر إلا بعد هذه المشورة ! ﴿ **قَالَتْ يَأَيُّهَا ٱلْمَلأُ أَفْتُونِي فِيَ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ** ﴾ وفي هذا يبدو سمة الملكة الأريبة بأنها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقي إليها من حيث لا تعلم ؛ والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء ، وقد نقلت هذا الأثر إلى نفوس الملأ من قومها ، وهي تصف الكتاب بأنه "كريم" وواضح أنها لا تريد المقاومة والخصومة ؛ ولكنها لا تقول هذا بصراحة وإنما تمهد له بهذا الوصف ، ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة ، وكعادة العسكريين

في كل زمان ومكان ، لابد أن يظهروا استعدادهم العسكري في كل لحظة . وإلا أبطلوا وظيفتهم . مع تفويض الأمر للرياسة العليا كما يقتضي النظام والطاعة ﴿ **قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾ وهنا تظهر شخصية " المرأة " من وراء شخصية الملكة المرأة التي تكره الحرب والتدمير ، والتي تنضي سلاح الحيلة والملاينة ، قبل ان تنضي سلاح القوة والمخاشنة[٢٧] . ﴿ **قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ** ﴾ * فعندما قرر سليمان اخضاع بلقيس وقومها لسيطرته وفرض دينه عليهم، وقبل انْ يشن سليمان حملة عسكرية على مملكة سبأ طلب من الهدهد تسليم رسالة الى بلقيس وقومها يطلب فيها منهم انْ يُسلِموا ويستسلموا له، ثمّ ارادت بلقيس رشوة سليمان فارسلت له هديّة ولكن سليمان سَخِر منهم وقال انّ ما اتاه الله خير مما اتاهم . ثم إن سليمان ـ عليه السلام ـ يدرك أن هذا الرد سينهي الأمر مع ملكة لا تريد العداء ـ كما يبدو من طريقتها في مقابلة رسالته القوية بهدية ! ـ ويرجح أنها ستجيب دعوته ـ وطلب من حاشيته انْ يجلبوا له عرش بلقيس، فانبرى عفريت من الجن متطوعا للمهمّة . وقال: ﴿ **قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ ٱلْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾... ، هنا تدّخل احد العلماء الجهابذة وقال: ﴿ **قَالَ ٱلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾... ، وفعلا تمكّن الّذي عنده علم من الكتاب من احضار العرش في لمح البصر .والسؤال ما الذي قصد إليه سليمان ـ عليه السلام ـ من استحضار عرشها قبل مجيئها مسلمة مع قومها ؟ نرجح هذه كانت وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده ؛ لتؤثر في قلب الملكة ، وتقودها إلى الإيمان بالله للإذعان لدعوته . ﴿ **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ**﴾ **[النمل:٤٠، ٤١،٤٢]**، وهذا سؤال عصيب استخدمه سليمان لقياس معدل ذكاء ملكة سبأ، فالعرش عرشها به أمارات قد ألفتها وعرفتها ولا تستطيع أن تنكرها رغم تغيير بعض العلامات، ولكن كيف يجيء العرش من اليمن

---

[٢٧] ـ ظلال القرآن ١٩ /٢٦٣٩ ـ ٢٦٤٠ ، التصوير الفني ص ٢١٥

إلى بلاد الشام وقد تركته هناك في حماية جنودها وشعبها؟ فإن أجابت نعم هذا هو عرشي كانت الإجابة غير صحيحة ؛ لأن عرشها في اليمن وليس في القدس عند سليمان. وإن قالت لا كان ذكاؤها ضعيفًا أو محدودًا لأنها تفكر استنادًا لأفكار في رأسها دون أن تطرح هذه الأفكار للمناقشة مع هذا الواقع الجديد. فأجابت إجابة تنم عن فطنة وحكمة واسعة لا تثبت ولا تنفي، فقالت: ﴿ **كَأَنَّهُ هُوَ**﴾.

ورغم رجاحة عقلها، إلا أنها كانت تحيا في بيئة فاسدة كافرة مظلمة، وهذا يدل على أن ذوي الألباب حين يأتيهم ضوء الهدى والإيمان فإنهم سرعان ما يهتدون به في حياتهم وسلوكهم، والعقل في حاجة إلى هداية ربه وإرشاده حتى يعقل ويحسن التصرف.

وجاء السياق القرآني الكريم يوضح علة كفر بلقيس وهي نشأتها في بيئة كافرة في عقيدتها وتصورها ﴿ **وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ**﴾ **[النمل:٤٣]**،

وأعد سليمان عليه السلام مفاجأة أخرى، حيث أعدَّ قصرًا من البلور أقيمت أرضيته فوق الماء وظهر كأنه لجة، فلما قيل لها ادخلي الصرح حسبت أنها ستخوض تلك اللجة، فكشفت عن ساقيها، فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان عن سرها، قال: ﴿ **إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**﴾ [النمل:٤٤]، وأمام تلك العجائب الإلهية التي سخرت لخدمة سليمان وقفت الملكة في دهشة ، ورجعت إلى ربها واعترفت بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غير الله، معلنة إسلامها مع سليمان لا لسليمان، ولكن ﴿ **لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ .

الدلالة التربوية استقيناها من أسلوبية النص الخطابي

لقد اهتدى قلبها وعرف عقلها أن الإسلام لله ليس استسلامًا لأحد من خلقه، ولو كان هو سليمان النبي الملك صاحب المعجزات، أما الإسلام فهو إسلام لله رب العالمين، ومصاحبة المؤمنين والداعين إلى طريقه

﴿ **وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **[النمل:٤٤]**.

بهذا التصرف الحكيم أسدلت بلقيس ملكة سبأ الستار على قصة مثيرة بين دولتين، وتبعها شعبها فأسلم مثلها، فأكرم بها من امرأة وملكة كانت تحكم شعبها بأسلوب

الشورى، وجنبت شعبها ويلات الحرب، وبسياستها الحكيمة وعقلها الرزين، وكذلك ويلات الهلاك في الآخرة إذا ظلوا على كفرهم ولم يسلموا لله رب العالمين مع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام.

بعد هذه الاحداث استسلمت بلقيس وقومها وخضعوا لسليمان وحضرت بلقيس الى مملكة سليمان ودخلت الى قصر سليمان وعند دخولها كشفت عن ساقيها حتّى لا تبتل ملابسها لانّها حسبت انَّ ارضية القصر المعمولة من الزجاج الازرق لُجّةٌ ﴿ **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾..

****

المحور الخامس : أمة ثمود.

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ * وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ * قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُواْ مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُواْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾

جاءت القصة لبيان أن الغرض الأساسي هو بيان أن الدين كله لله وأن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة ، وأن استقبال قومهم لهم متشابه .

دلالة الخطاب يأتي خطاب الاعتبار من أجل أخذ العبرة سواءً من الكائن الحي المتحرك أو الميت أو الجماد وهو من أساليب البيان التي استخدمه القرآن الكريم عندما يوجه الأنظار .

الفوائد البيانية من النص :فالخطاب جاء على لسان صالح عليه السلام لما هلك قومه ، خاطبهم بعد هلاكهم بالصيحة على سبيل أنهم يسمعون كما فعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأهل بدر بعد أن وضع قتلى المشركين في القليب فناداهم بأسمائهم فقال : "يا فلان ابن فلان : أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا

ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله أتكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :"والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم (صحيح البخاري ، رقم ٣٧٥٧ ، ١٤٦١) .

جاء خطاب الاعتبار حتى يعتبر الكافرون والمنافقون ، وكل من يصل إلي أسماعهم . ثم بين ما ترتب على ما باشروه من المكر بقوله: ﴿ **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ أي ففكر كيف آل أمرهم، وكيف كانت عاقبة مكرهم، فقد أهلكناهم وقومهم الذين لم يؤمنوا على وجه يقتضى النظر، ويسترعى الاعتبار، ويكون عظة لمن غدر كغدرهم في جميع الأزمان. [٢٨]

المكر. الكيد هو دقة التدبير الخفي المكر سر في الإنسان عن طريقه يعني تضعه في مكان معين يفرح به وظيفة عالية تجعله غنياً بعد فقر، تعطيه رتبة هائلة يعني تكرمه إكراماً زائداً ولكن هذا ليس لمصلحته وإنما تريد أن تقلب به الأرض، هذا المكر ﴿ **وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا**﴾.مثلاً قارون أعطاه الله مالاً ﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** ﴾ (٧٦) القصص) ولما أعطاه رب العالمين هذا المال ليسعده به وإنما أراد أن يمكر به ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ** (٨١) القصص) هكذا شأن الذين يتعاونون مع الطاغية في كل التاريخ، هذا الطاغية سواء كان استعماراً أو محتلاً ﴿ **وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ أي وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود ـ رسولنا صالحا ومن آمن به، لأنهم كانوا يتقون سخط الله ويخافون شديد عقابه، بتصديقهم رسوله الذي أرسله إليهم. وفي هذا إيماء إلى أن الله ينجى محمدا وأتباعه عند حلول العذاب بمشركي قريش حين يخرج من بين ظهرانيهم كما أحلّ بقوم صالح ما أحل حين خرج هو والمؤمنون إلى أطراف الشام ونزل رملة وفلسطين [٢٩]

المحور السادس : قصة لوط وقومه.

﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ * شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ**

---

[٢٨] ـ بتصرف التحرير والتنوير (ج٢٠ /٣٤) .

[٢٩] ـ المصدر السابق

أَخْرِجُواْ ءالَ لُوطٍ مّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ *فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ .

***﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ * فالله سبحانه وتعالى أنجاه وأهله إلا امرأته قدرها رب العزة من الغابرين. لما قال : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)﴾** . انتهى الكلام عن ذكر الأمم، كان آخر شيء في ذكر الأمم يعني لم تكن هناك حكاية ورواية لأمور وإنما رواية لهذه المسألة. النهاية كانت **. ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)) ﴾** لم يذكر أمة أخرى وراءها. هو لا يتحدث حديثاً تاريخياً متواصلاً وإنما إنقطع الكلام هنا.

﴿ **قُلِ** ﴾ ، خطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك كفار قومه ، لنعمة بسلسلة الطاعة فالابتلاء ظاهره ضرر، والشكر عليه لا يمكن فهمه في إطار مقتضياته اللغوية، وإنما وفقا لمقتضيات السياق الثقافي الذي ورد فيه، فالمسلم يعتقد أن الابتلاءات بأنواعها مهما تتعاظم، كلها خير، حتى وإن خفي نفعها، والفعل الكلامي ﴿ **الْحَمْدُ** ﴾ : الذي تكرر بكثرة في أقوال الشخصيات، له

الثناء على » : دلالة خاصة في المجال التداولي الإسلامي ، والشخصيات في هاتين المقامتين لا تأتي لتكرر المعنى الذي قصده السارد في المقامات السابقة. ويعرف الجرجاني ﴿ **الْحَمْدُ** ﴾ " : الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها[٣٠] فالجانب التربوي ظهر في إنكار لوط ومواجهتهم بفحش ما يفعلونه بخلاف ما يجري في نسق الحياة بأنواعها من حولهم ، ثم مواجهتهم بطبيعة تلك الفاحشة وخروجها عن المألوف البشري.

مظاهر تأثير السياق في تفسير الخطاب وتأويله[٣١]:

١ - تخصيص الدلالة اللغوية للتعبير المستخدم من قبل المخاطب. »

---

٣٠ - معجم التعريفات للجرجاني ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، باب الحاء مع الميم ، ص ٨٢.

٣١ - محمد محمد يوسف علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول
. المعنى وظلال المعنى، د. ط، منشورات جامعة الفاتح، د.ب، ١٩٩٣ ، ص ١٤٣

٢ ـ تعميم الدلالة.

٣ ـ تغيير الدلالة: حيث تدل من الناحية اللغوية المحضة على الاستفهام مثلا . « وباعتبار مراعاة السياق على النفي

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا أَإِلَاهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾

. انتقل بهذا الإضراب من الاستفهام الحقيقي التهكمي إلى الاستفهام التقريري ، ومن المقدمة الإجمالية وهي قوله : ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل : ٥٩) ، إلى الغرض المقصود وهو الاستدلال[٣٢] . على ما فسر به في (الكشاف) فلا يجدر به إضراب الانتقال .

فالاستفهام تقرير كما دل عليه قوله في نهايته في ﴿ أإله مع الله ﴾ ، (فهو تقريري لإثبات أن الخالق والمنبت والرازق هو الله ، وهو مشوب بتوبيخ ، فلذلك ذيل بقوله: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾وهذا من غرض الدليل الإجمالي إلى التفصيل . وبعد هذه الجولة في الأفاق ، وفي أنفسهم لإثبات الوحدانية ونفي الشرك . يأخذ معهم في جولة أخرى عن الغيب المستور الذي لا يعلمه إلا الخالق الواحد المدبر ، وعن الآخرة وهي غيب من غيب الله ، يشهد المنطق والبداهة والفطرة بضرورته ، ويعجز الإدراك والعلم البشري عن تحديد موعده . وبعد أن يوجههم هذا التوجيه بأمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ينفض يديه من أمرهم ، ويدعهم لمصيرهم ، الذي وجههم إلى نظائره وألا يضيق صدره بمكرهم ؛ فإنهم لن يضروه شيئا ، وألا يحزن عليهم فقد أدى واجبه تجاههم وأبلغهم وبصرهم [٣٣].

فالآيات ٥٩ ـ ٩٣ عودة لمخاطبة الرسول . تتميز بالأمر " قل " في

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)) وينتهي﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَما رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٣) وأما هدايته فإلى الله. {وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ }: أمر أن يقول ذلك، فيحمد ربه على ماخصه

---

٣٢ ـ التحرير والتنوير (ج٢٠ / ١٠)
٣٣ ـ بتصرف التصوير الفني ، ص ٢٦٦٣

به من شرف النبوة والرسالة، واختصه من رفيع المنزلة. {سَيُرِيكُمْ ءايَـٰتِهِ }: تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته التي تضطرهم إلى معرفتها والإقرار أنها آيات الله. (٣٤)

خلاصة ما حوته هذه السورة الكريمة من حكم وأحكام وقصص

(١) وصف القرآن الكريم بأنه هدى ورحمة للمؤمنين.

(٢) قصة موسى عليه السلام.

(٣) قصة سليمان عليه السلام.

(٤) قصة ثمود وقصص قوم لوط.

(٥) النعي على المشركين في عبادة الأصنام والأوثان، وإقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى.

(٦) إنكار المشركين للبعث والنشور وقولهم: إن هذا إلا أساطير الأولين.

(٧) علم الله بما في الصدور.

(٨) حكم القرآن على ما اختلف فيه بنو إسرائيل.

(٩) قطع الأطماع في إيمان المشركين وتشبيههم بالعمى الصم
(١٠) أشراط الساعة كخروج الدابة من الأرض، وحشر فوج من كل أمة، وتسيير الجبال.

(١١) الجزاء على العمل خيرا كان أو شرا.

(١٢) أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول للمشركين: إنه إنما أمر بعبادة رب مكة، لا بعبادة الأصنام والأوثان.

(١٣) أمره بحمد الله والثناء عليه وطلبه تلاوة القرآن.

---

٣٤ ـ البحر المحيط (ج٦ / ٢٠٩)

(١٤) إنه سبحانه سيرى المشركين آياته فيعرفونها حق المعرفة حين لا يفيدهم ذلك شيئا.

****

خلاصة البحث

سورة النمل حوت العديد من المواقف التربوية والمخاطبات العقلية والنفسية في توجيه السلوك العام . فالتوجيه التربوي في الخطاب القرآني له أهميته في نقل الخبرات الإنسانية إلى النشءِ مع بعث القدرة للحصول على خبرات جديدة، كالصدق بدل الكذب، والأمل بدل اليأس، لأن التربية في جوهرها عملية قيمية تسير في أطار منظومة القيم التي تعمل على تشكيل الشخصية وضبط السلوك من خلال الخطاب القراني

الذي يعبر عن روح القيم الإسلامية من جهة ويعمل على تحقيقها من جهة أخرى ومما لا شك فيه

أن للقيم دورًا كبيرًا في توجيه سلوك الأفراد وأفكارهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه

فالقيم في الخطاب القرآني هي نمط : من أشكال السلوك . فأسلوب التهديد الذي استخدمه القائد تجاه أحد جنوده تربوي يجدي (استصلاحا له إن كان يرجى صلاحه ، أو إعداما له لئلا يلقن بالفساد غيره) ولا ريب أن الحزم والصرامة في مواجهة الخطأ كفيلة بوأده في مهده ، أما حين يخطئ الإنسان ويشيع خطؤه في الناس ثم يتراخى القائد في الأخذ على يده فإن العاقبة حينئذ تكون سيئة ، إذ يتجرأ غيره على الخطأ ، وتنكسر حيئذ هيبة القيادة .

- الإيجابية وتغيير المنكر فلم يقف الهدهد عند مجرد النقل والسرد؛ بل إننا نلاحظ تدخل رؤيته وتقييمه للأمور وحكمته، والتي وصلت مداها بتوصية لسليمان يوجهه فيها لطبيعةالقرار الذي يجب اتخاذه في مثل هذا الموقف وهذا يوضح أعلى الدرجات الإيجابيةوالمسئولية والمشاركة من مقدم التقرير إلى قائده، وذلك حينما يختم تقريره بقوله: ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)**﴾ (النمل).

أبرز هذا الموقف عن حوار بين إنسان وكائن من نوعية مختلفة عن نوعية البشر ـــ طائر ـــ تتضمن نوعية الحوار الإجابة عن طريق الحوار إلى ما يجول في الذهن من تساؤلات وشكوك، وتتضمن الحوار في معظم الأحيان ما يراد أن يصل إلى السامع من إقرار مبادئ الإيمان، ومن انتصار الخير على الشر، ومن الاعتراف بنعمة الله وشكره والتخويف من عذابه..

وكان للحوار في عموميات السورة الكريمة خصائص ومميزات منها: الإقناع العقلي، وهذه هي خصوصية الحوار، فالحوار وسيلة للإقناع، وربما يعتبر من أهم وسائل الإقناع، ولهذا اتجه الحوار إلى مخاطبة العقول وطرح التساؤلات العقلية التي يمكن أن يثيرها العقل، وبخاصة في القضايا التي تتصل بالعقيدة والإيمان . ونلمس بعض الحقائق الإيمانية التي لا تدرك إلا بالذوق الإيماني وصفاء النفس وطهارة النفس ونقاء الفطرة، في موقف الملكة بلقيس في مخاطباتها مع جنودها ، ومع نبي الله سليمان ـ عليه السلام .

فالمنهج العقلي في القرآن واضح وبين، في مخاطبته للعقل البشري ؛ لأن القرآن الذي يخاطب العقول لا يمكن أن يقرر حقائق منافية للعقول والقصة القرآنية هي إحدى أدوات القرآن للإقناع والتأثير.

ـــ الأثر التربوي يلمس من أثر اللفظة القرآنية في إحداث التأثير النفسي كما في التهيئة النفسية من جانب رب العالمين لأنبياء الله .

﴿ **لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾. فحوار الله مع نبي الله موسى عليه السلام ينبئ عن عظيم الأثر في اللفظة القرآنية التي هي أداة التعبير المؤثر، حتى إن السامع عند ما يسمعها يظن أنه يسمعها لأول مرة، ويتأثر بها، واللفظة المفردة ليست لها قيمة متميزة إلا في إطار المكان الذي جاءت فيه . ـــ

أفصح الحوار في القرآن وفي مواقفه عن الحكم والعبر المستفادة منه ومن أخبار الأمم والتهذيب التربوي في نفوس مستميعه في ضوء المنهج التربوي القرآني فقد أجملت السورة الكريمة ـــ النمل ـ بعض أساليب التوجيه التربوي فعلى سبيل المثال : القدوة: يكتسب التوجيه القدوة أهميته من خلال كونه يقدم نموذجا سلوكيًا عمليًا يوفر الجهد والوقت على المعلم ويتبع الفرص للمتعلم لاكتساب خبرات جديدة

كما ورد من نبي الله سليمان القائد ﴿ **وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ** ﴾ فالقدوة من أهم العوامل المؤثرة في التربية لأنها تمثل نموذجًا للاعتدال والنجاح والشهرة . أسلوب النداء الاقناعي: إنه نداء إقناعي مصحوب بالتودد وإثارة العاطفة كما ورد على لسان النملة في نداءئها لمن تحت أمرها ، والملكة بلقيس في نداءئها تجنبا لمخاطر جسيمة من بينها ذل الملوك لمن تحت ملكهم وكما هو الشأن في كل امرأة تبتغي عزة النفس محفوفة برزانة الفطنة .

- توجيه الانتباه: يشير التوجيه التربوي في الخطاب القرآني وذلك لبناء المفهوم والقناعة ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ وفي سرد الهدهد للقائد سليمان أمر الملكة بلقيس

-أسلوب التوجيه بالحوار: قد استخدم الخطاب القرآني هذا الأسلوب في الحوار بين الرسل وأقوامهم. أسلوب التوجيه بالتوبة والاستغفار: أن التوبة والاستغفار أسلوب مهم في التعليم والتربية وينفرد الفكر الإسلامي في فتح هذا الباب الواسع للمسلم ويجعله مفتوحًا إلى نهاية العمر ، ﴿ **قَالَ يٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ ويشير التوجيه التربوي في الخطاب القرآني لقوم صالح ـ ثمود ـ إلى أساليب تغير الذات وذلك بالرجوع إلى الله .

- أسلوب التوجيه ببيان الخطأ وإصلاحه: كما ورد في الحوار بين قومي صالح ، ولوط أسلوب التذكير بالنعم: كما جاء على لسان نبي الله سليمان والإقرار بنعم الله في أواخر السورة الكريمة .

- الاهتمام بتكوين المسلم تكوينا إيمانيا ، ودينيا , حتى تتبلور رؤى التوحيد والتدين في شكل ثابت.
- الاهتمام بتكوين المسلم تكوينا عقليا وخلقيا واجتماعيا.
- الاهتمام بتكوين المسلم علميا ونفسيا وتربويا.

أسلوب الثواب • أسلوب العقاب • توثيق المعلومة من مراجعها الأصلية .

الخاتمة

تناولت صفحات هذا البحث محاور مهمّة في حياة الأُمم، وإصلاح منظومتها حضاريا. وإلى ضرورة تنمية ثقافة فهم القارئ بلغة القرآن، وظهور التأثر بمناهجه التربوية والحضارية والسلوكية .

١ ـ استخلاص الدروس ـ والمواقف ـ التي تساعد على بناء الشخصية المتكاملة ومن ذلك :

أ ـ صناعة الإيجابية . ب ـ تغيير المنكر . ج ـ الأمر بالمعروف . د ـ كيفية اكتساب الحكمة . ه ـ الحزم والصرامة في بناء الشخصية .

٢ ـ الحوار القائم على العلم والمعرفة ، مقتضيات تحصيل العلم كالآتي :

أ ـ علم عقلي : وهو ما لا يؤخذ من الغير ؛ بل من التفاعل أثر مجريات الحوار . ب ـ علم انفعالي : وهو ما أخذ من الغير مباشرة بالتأثر والفاعلية . ج ـ علم إلهي : وهو ما يخص علم الله تعالى ؛ ولا يتم إلا إذا تم نقله عن طريق الوحي .د ـ علم حصولي : وهو حصول العلم بالشيء بعد حصول صورته في الذهن . ه ـ علم حضوري : وهو حصول العلم بالشيء دون حصول صورته في الذهن ؛ كعلم الإنسان بنفسه .

٣ ـ للقيادة ملكات بتحققها ؛ تتحقق عناصر القوة :

أ ـ التفقد والمتابعة . ب ـ الاختبار العملي والنظري للمواقف والأشخاص ج ـ الثقة في الجنود ، والتوظيف الأمثل ، والصبر عليهم حتى إتمام المهمة بنجاح د ـ تهيئة الجنود ؛ لتحصيل العلم والمعارف ، وإعدادهم بما يناسب الظرف والحدث . ه ـ التحقق من الروايات ، والسعي الدؤوب لتحقيق الهدف النهائي ـ أخيرا وليس بآخر ـ أرجو الإفادة من ذلك في ميلاد فكر تربوي إسلامي معاصر يواجه المتغيرات المتلاحقة التي تعصف بقيم وأخلاق المجتمع الإسلامي.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أ- **قائمة الكتب العربية و التفاسير :**

* أبو حيان النحوي (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي ـ البحر المحيط في التفسير .

* الآلوسي الكبير (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ) هو: محمود بن عبد الله الحسينى الالوسى ، شهاب الدين .

ـــــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان ، ١٤١٤ ه ، ١٩٩٤م .

* الزمخشري : (العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) .

ـــــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت - سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ .

* سيد قطب :- تفسير الظلال ،، دار الشروق ، الطبعة ٣٢ ، ١٤٢٣ ه - ٢٠٠٣ م .

* سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، الطبعة السادسة عشر ، ٢٠٠٢ م

* ابن عاشور : محمد الطاهر بن عاشور١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ .

ـــ التحرير والتنوير : دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م

* علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)

ـــــ معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة، رقم الإيداع ١٣١٩٢ / ٢٠٠٤ م ـــ كتاب التعريفات المحقق: إبراهيم الأبياري - ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر . الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

ب ـ قائمة المجلات والدوريات والمقالات :

* **الخطاب** : دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب منشورات مخبر تحليل الخطاب ـ جامعة مولود معمري ـ تيزي وزو- للاتصال: مخبر تحليل الخطاب ـ جامعة مولود معمري ـ تيزي وزو-

Tél fax: ٠٢٦ ٢١ ٣٢ ٩١ Email: elxitaab.lad@gmail.com

- حماد، صلاح الدين إبراهيم، ٢٠٠١ ، الأسس التربوية لحركة التجديد عند الشيخ القسام –

مجلة جامعة الأقصى– العدد الثاني- غزة– فلسطين.

* حماد، صلاح الدين، وأحمد حماد، ٢٠٠٨ مدخل إلى الإعلام الإسلامي، الناشر مكتبة المكتبة، غزة ـ فلسطين

* حماد، صلاح الدين إبراهيم، التوجيه التربوي في الخطاب القرآني: لبني إسرائيل: دراسة تحليلية . د. صلاح الدين إبراهيم حماد مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الخامس عشر، العدد الثاني: ص ١٢٦ ـ ١٥٣ ، يناير /2011م

* محمد محمد يوسف علي :
ـــــ وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، ، د. ط، منشورات جامعة الفاتح، د.ب، ١٩٩٣ ، ص ١٤٣ .

* يا لجن مقداد، ١٩٨٧ :
ـــــ دور التربية الإسلامية الحضارية في مواجهة التحديات والغزو والحضاري وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو والثقافي لدول الخليج العربي في الفترة ١ـ ٣ شعبان ١٤٠٥ ه الموافق ٢١ ـ٣ ، أبريل ١٩٨٥ م مسقط .

* الإعجاز في نص الخطاب القرآني ، مقدم إلى مؤتمر النص بين التحليل والتأويل والتلقي

(المنعقد ٤ـ٦ أبريل ٢٠٠٦م) تأليف الدكتور / عصام العبد زهد الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن الجامعة الإسلامية – كلية أصول الدين .

Dr. Esam El-Abd Zohd By

Associate Professor in interpretation and Quranic Sciences

الطبعة الأولى١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

- من أعلام التربية الإسلامية إعداد زياد منصور التميمي طرق تدريس علوم شرعية . إشراف د/ محمد البشر - المملكة العربية السعودية - ، وزارة التعليم العالي - جامعة الملك سعود - كلية التربية قسم المناهج وطرق التدريس ، ١٤٣٣هـ .